تأكيد المصلحين الإنجيليين على حقائق قانون الإيمان النيقاوي اللاهوتية

القس سهيل سعود

يسود الأوساط المسيحية لَغَطٌ وسوء فهم، مفاده أنَّ الكنائس الإنجيلية لا تَعْترف بأهميّة ودَوْر تعاليم آباء الكنيسة وقوانين الإيمان التي كتبوها، الأمر الذي يَضَع الكنائس الإنجيلية خارج التاريخ الكنسي، ويرجِع جذورها فقط إلى عهد الإصلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر، وليس إلى عَهْد رسل الكنيسة الأولى وآبائها. لكنّ سوء الفهم هذا، يتنافى مع مفهوم الكنيسة في اللاهوت الإنجيلي المُصلِح.

لَمْ يعتقد المُصلِحون الإنجيليون بأنَّ الكنيسة بدأت على عهدهم، بَلْ آمَنوا أنَّها بَدَأت مُنْذ آدَم وحوّاء، مُنْذُ أنْ دعا الله أولاده ليدخلوا في عهدٍ معه قديمًا بواسطة الآباء والأنبياء، وفي العهد الجديد في ابنه يسوع المسيح. فالكنيسة وُجِدت واستمرت في التاريخ قَبْل الإصلاح الإنجيلي وبَعْده. اعتبر المصلحون حَرَكة إصلاحهم، وفاءً لاسْتمرارية حياة وتعاليم الكنيسة الأولى، كنيسة الرسل والآباء، التي عاشَت وعَلّمت كما يحقُّ لإنجيل المسيح. اعتبروا أنّ تاريخ الكنيسة هو تاريخهم، وآباء الكنيسة لا سيما الأوائل مِنْهم، هم آباؤهم. لكن هذا لا يَنْفي تحفُّظاتهم ومَفهومهم الخاص لبَعْض الأمور التي بَرَزَت في خلال مَسيرة الكنيسة.

إنَّ المقياس الأساسي الذي اعتمده المُصلِحون الإنجيليون للتَّمييز بَيْن تعاليم الآباء المَقْبولة وغير المَقْبولة، هو مقياس الكتاب المقدس. بما إنَّ الكتاب المقدس هو دستور الإيمان الأهمّ والكافي لإعلان الحقيقة الإلهية للإنسان، فإنَّ سُلْطته هي السُّلْطة التي تعلو فوق كُلِّ سُلْطة أخرى. لهذا، فإنَّ أي تعليم لأيٍّ مِن آباء الكنيسة كان يخضع لمقياس الكتاب المقدس، فإذا ما انْسَجم مع تعاليمه، كان يُقْبَل ويُعتَبَر غِنىً للإيمان والحياة المسيحية، وإذا لَمْ يَنْسَجم مع تعاليمه، كان يُرْفَض ويُعْتَبَر خُروجًا عن الحقيقة الإلهية. ظَهَر موقف المصلحين من كتابات آباء الكنيسة، في اعتراف الإيمان (السويسري) الهلفيتي الثاني، الذي يلخِّص مبادئ وتعاليم المُصلِحين الإنجيليين في القرن السادس عشر. فإنَّه في إحْدى فقراته عن تفسير الآباء القديسين، ورَد ما يلي: "تُقْبَل تفاسير الآباء حين توافِق قاعدة الإيمان والمحبة وتؤول إلى مجد الله وخلاص الإنسان. لذا فنحن لا نَحْتَقِر تفاسير الآباء الشرقيين والغَرْبِيّين بقدر ما تتوافق مع الأسفار المقدسة، ولكنَّنا نُخالفهم بكُل اتِّضاع حينما نَجد أنَّهم يقولون أشياء تخْتَلِف أو تتعارَض كُليًّا مع الأسفار المقدسة. ولا نَعْتقد أنَّنا نخطئ ثقَتهم في ذلك، عالمين أنَّهم وبإجماع كليّ، لا يريدون أنْ تتساوى كتاباتهم بالأسفار المقدسة القانونية، وأنَّهم يُوْصُونَنا أنْ نَفْحَص مدى توافُق كتاباتهم أو تعارُضها مع الأسفار القانونية، وأنْ نَقْبَل منها ما يتوافَق ونَرْفُض ما لا يتوافق معها".

أدرك المصلحون جيّدا، أنّ ما يُمَيِّز دَوْر الآباء القديسين الأوائل، هو مُسانَدتهم للكنيسة في انطلاقتها الأولى في أهمّ مراحلها، في عصر تميَّز بظهور البِدَع والهرطقات التي عَمِلَت على مُحاربة الإيمان المسيحي، وتشويه رسالة المسيح، فعمدوا إلى كتابات قوانين الإيمان التي تفسّر وتوضّح حقائق الإيمان المسيحي. اعتمد المصلحون الإنجيليون ثلاثة قوانين إيمان تاريخية، هي: قانون إيمان الرسل، قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني، وقانون الإيمان الأثناسي. وقد ترجموها إلى لغات شعوبهم، وتلوها في كنائسهم بلغات شعوبهم، بعد أن كانت تتلى باللغة اللاتينية. كتب مصلح إنكلترا، توماس كرنمار قائلًا: "يجب أن نقبل بشكل كامل، قوانين الإيمان الثلاثة: قانون الإيمان النيقاوي. قانون الإيمان الأثناسي. وقانون إيمان الرسل، لأنه مبرهنة من قبل الكتاب المقدس". آمن المصلحون أنّ أهمية قوانين الايمان، تكمن في كونها: أولًا، تحفظ سجلًّا للإنجازات اللاهوتية في معرفة الحقيقة. ثانيًا، تميّز بين التعليم الحقيقي والتعليم المضلّ. ثالثًا، تصلح لتكون أساسًا للشركة الكنسية بين المسيحيين الذين يشتركون في الإيمان نفسه. رابعًا، تستخدم كمستندات في التعليم المسيحي.

بمرور 1700 سنة، على كتابة قانون الإيمان النيقاوي عام 325م، تظهر كتابات المصلحين الإنجيليين المتنوّعين، أمثال مارتن لوثر، وجون كالفن وغيرهم، تأكيدهم وموافقتهم، على الحقائق اللاهوتية التي يعلنها قانون الإيمان النيقاوي، لا سيما، الإيمان بعقيدة الثالوث الأقدس.

لكن لا بد أولًا من التذكير بالسياق الذي كُتِب فيه قانون الإيمان النيقاوي. كُتِب قانون الإيمان النيقاوي، لتوضيح لاهوت المسيح، وتفنيد فكر الهرطقة الأريوسية، التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي. فأريوس أنكر لاهوت المسيح، ونفى أزليته مع الآب. ادّعى أريوس أنه كان للمسيح بداية في الزمن، لأنّ الله خلقه، بينما الله أزلي أبدي لا بداية ولا نهاية له. لهذا، استنتج أنّ المسيح لا يمكن أن يكون من طبيعة وجوهر الله. علّم أريوس، أنّ المسيح ليس إلهًا ولا إنسانًا، ولكنه بين الإله والإنسان، الأمر الذي أدّى إلى انقسام كبير في الكنيسة بين مؤيّدين ومعارضين لآريوس. عندها دعا الإمبراطور قسطنطين إلى انعقاد مجمع مسيحي في نيقية، لمعالجة هذه المشكلة. فاجتمع مئتا وعشرون أسقفًا سنة 325م. وعليه، قام المجمع بتوضيح الإيمان المسيحي، وصياغة عقيدة اللاهوت والتشديد على ألوهية المسيح. أقرّ مجمع نيقية هذه العبارات الهامة: "نؤمن بربٍّ واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور، إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق. مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء...". وهكذا أكدّت الكنيسة، أنّ المسيح ليس أدنى درجة من الله، بل هو إله كامل وُجِدَ من الأزل مع الله. كما أنه من نفس طبيعة وجوهر الله. على الرغم من أن قانون الإيمان النيقاوي، قد بدأت كتابته سنة 325م،

إلاّ أنه لم ينتهِ في صيغته الحالية حتى سنة 381م؛ إذ عقد المجمع النيقاوي الثاني، للردِّ على هرطقة أخرى، أنكرت لاهوت الروح القدس. فما كان من المجمع النيقاوي الثاني إلاّ أن أكدَّ على لاهوت الروح القدس. وأضاف على قانون الإيمان النيقاوي، الفقرة المتعلّقة بالإيمان بالروح القدس، التي تنصُّ على ما يلي: "ونؤمن بالروح القدس. الرب المحيي. المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن...".

نظر المصلحون الإنجيليون، إلى قانون الإيمان النيقاوي بسموّ كبير معتبرين إيّاه، تصريحًا أساسيًّا عن الإيمان المسيحي. وقد أعطوا له سلطة كبيرة في إيمانهم وتعاليمهم، ودفاعهم عن العقيدة المسيحية ضد الهرطقات، معتبرين إياه توضيحًا هامًّا للفكر اللاهوتي الكتابي.

أكّد المصلح مارتن لوثر، على عقيدة الثالوث، المتضمّنة في قانون الإيمان النيقاوي، قائلًا: "إنّ كنائسنا هي في توافق مشترك، في تعليمها مع قرار مجلس نيقية حول وحدة الجوهر الإلهي، وحول الأقانيم الثلاثة. لذا، يجب أن تُقبَل، ويُؤمَن بها دون أيّ شكوك". وحول موضوع الإيمان بابن الله الوارد في قانون الإيمان النيقاوي، ذكر لوثر: "إنّ الكلمة المتجسّد، أي ابن الله، اتخذ الطبيعة البشرية في رحم العذراء المباركة مريم. لهذا، فإنّ هناك طبيعتين للمسيح: طبيعة إلهية، وطبيعة إنسانية، انضمتا إلى بعضهما، في شخص واحد، ومسيح واحد، دون انفصال بينهما. إله حقيقي، وإنسان حقيقي". وحول مفهومه للمعمودية، أعلن لوثر أنّ مفهومه ينسجم مع المفهوم المتضمّن في الإيمان النيقاوي، "أنّ هناك معمودية واحدة لمغفرة الخطايا".

اتُّهم المصلح جون كالفن خطأ من قِبَل البعض، أمثال كارولي، الذي اعتقد أنّ كالفن لم يكن مؤمنا بعقيدة الثالوث، مع أنه في جداله مع فرانسيسكو ستانكارو، ومايكال سيرفيتوس، دافع عن عقيدة الثالوث، بحسب المفهوم النيقاوي. استخدم كالفن الكتاب المقدس لدحض الآراء الأريوسية والهرطوقية حول الثالوث. اعتقد أنّ الآراء غير الثالوثية يجب دحضها. أعلن كالفن قائلًا: "لا شيء أكثر غباوة من تفاهة الأريوسيين، الذين مع أنهم أقرّوا بألوهية الابن، إلاّ أنهم أنكروا جوهره الإلهي". (كان في فكر كالفن، أنّ الذين يحمون الهراطقة، والمجدّفين، هم نفسهم هراطقة ومجدّفون). عندما كتب المصلح جون كالفن كتابه الشهير "أسس الإيمان المسيحي"، عام 1536 والذي بقي يراجعه حتى العام 1558، لم يعتبر أنّ كتابه موجّه فقط للإنجيليين ليدافع عن عقائد الإصلاح، بل كان يكتب لكلّ المسيحيين. ضمّن في الجزء الأول من كتابه، فصلًا عن عقيدة الثالوث، هو الفصل الثالث عشر، الأقسام 16–20. علّم كالفن، في كتابه "أسس الإيمان المسيحي"، أنّ "الأقانيم الثلاثة هم إله واحد. في جوهر واحد، وقد تواجد أزليًّا في ثلاثة أقانيم متمايزة. وأنّ علاقة كلّ منهم، تختلف عن الآخر. وأنّ كلًّا منهم مع تمايزه، يوجد في الآخر". مما ذكره "هناك بشكل

واضح، أشياء متمايزة في الأقانيم نفسها، وإلاّ لن يكون هناك ثالوث". يوجِّه كالفن الانتباه إلى الأدوار المتمايزة في كلٍّ من الأقانيم، فيقول: "الآب هو المنشئ. والابن هو المدبّر الحكيم. والروح القدس هو المنفّذ القوي. وكلٌّ من هذه الأقانيم، هو الله نفسه". حول عبادة المسيحيين لله المثلّث الأقانيم، أعلن كالفن قائلًا: "يمكن للإنسان المسيحي، أن يعبد الإله الواحد في كلٍّ من الأقانيم الثلاثة الذين تعاونوا في سبيل خلاصنا. فالروح الساكن في المسيحيين، يخولهم حتى يفهموا هذا، ويدركوا أنّ العلاقة بين الأقانيم، كونها شخصية، إنما هي طوعية، وليست نتيجة سببية طبيعية".

استند كالفن على الكتاب المقدس، وقانون الإيمان النيقاوي، والتعريف الخلقيدوني لطبيعتي المسيح، وشهادة آباء الكنيسة، أمثال القديس أثناسيوس، وغيره من القدماء، الذين أكّدوا على عقيدة الثالوث. مع أنه كان لكالفن بعض التحفّظات على لغة بعض الكلمات المستخدمة، في قانون الإيمان النيقاوي. إلاّ أنه قبلها كما جاءت. آمن كالفن أنّ سلطة الكتاب المقدس، تعلو فوق كلّ السلطات، الكنسية والزمنية؛ فالكتاب المقدس هو المصدر الأول للعقائد والحقائق الكتابية والروحية. كان على قناعة تامة، بضرورة فهم الله، كما هو معلن في الكتاب المقدس، أي واحد في ثلاثة، وثلاثة في واحد. أعلن كالفن قائلًا: "إن لم نستوعب، طبيعة الثالوث، يصبح اسم الله فارغًا، يحلِّق في أذهاننا ليستثني الإله الحقيقي". استخدم كالفن، الشهادة الكتابية ليعبِّر عن وحدانية جوهر الله. أشار إلى كلمة الله المتجسّد كأزلي. وطبّق اسم الله يهوه في العهد الجديد، لكي يظهر وحدة الكيان بين الآب والابن. علّق اللاهوتي المصلح، جون أوين، قائلًا: "رأى كالفن نفسه، ليس مطوّرا لعقيدة الثالوث القديمة، وإنما مدافعًا عنها من الهراطقة أمثال مايكال سيرفيتوس، وغيره". رأى كالفن، في دراسته للكتاب المقدس، تمايزًا في أقانيم الثالوث. قال: "لو كان الكلمة هو ببساطة الله، ولم يكن لديه أي شيء خاص به، لما كان البشير يوحنا على صواب، عندما قال إنه كان دائمًا مع الله". "في البدء كان الكلمة. وكان الكلمة عند الله. وكان الكلمة الله" (يوحنا 1: 1). وجد كالفن تنظيمًا في العلاقة بين أقانيم الثالوث؛ إذ عندما يذكرهم كتّاب العهد الجديد، فإنهم يذكروهم بهذا التنظيم: الآب، والابن، والروح القدس. رأى أنّ هذا التنظيم، له علاقة بالتسلّسل، وليس بالمكانة، أو الكيان الإلهي. أعلن قائلًا: "هذا التنظيم في الثالوث، لا يتعدّى على ألوهية الأقانيم، لأنه بهذه الطريقة من العلاقات التنظيمية، تحفظ وحدة جوهر الله". رأى مثالًا على ذلك في قول المسيح لتلاميذه: "فاذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم. وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى 28: 19). وقول الرسول بولس: "كي يعطيكم، إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته" (أفسس 1: 17). رأى أنّ هذا التنظيم، ينسجم، مع التمايز في الأشخاص (الأقانيم)، ووحدة جوهر الثالوث.

كتب كالفن كثيرًا عن لاهوت يسوع المسيح. مما ذكره: "مع أنّ الآب متمايز بسمته الخاصة، إلَّا أنه عبَّر عن نفسه تعبيرًا كاملًا في ابنه يسوع المسيح. وقد جعل شخصه جليًّا فيه... ونحن نستطيع بسهولة أن نستدلّ على شخص الابن الذي يتمايز بنفسه عن الآب. ونفس المنطق، ينطبق على الروح القدس". علّق كالفن على قول كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن المسيح، "الذي وهو بهاء مجد الله، ورسم جوهره، وحامل كلّ الأشياء بكلمة قدرته" (عبرانيين 1: 3)، بقوله: "عندما يدعو الرسول، ابن الله، على أنه بهاء مجد الله، فإنه بلا شكّ ينسب إلى الآب كيانًا يتمايز به عن الابن... وهذا ليس تمايزًا في الجوهر".

وفي تعليقه على قول الرسول بولس: "فإن لم تكن قيامة أموات، فلا يكون المسيح قد قام... لأنه إن كان الموتى لا يقومون، فلا يكون المسيح قد قام" (1كورنثوس 15: 13 و16)، ذكر كالفن قائلًا: "لو لم يكن للمسيح نفس الطبيعة الجسدية معنا، فإنه لن يكون هناك قوة في جدل الرسول بولس، أنه إذا ما قام المسيح من الموت، فإننا أيضًا سنقوم. وإن كنّا لن نقوم، فإنّ المسيح لن يكون قد قام". أيضًا أعلن كالفن أنه "عندما يتحدّث الكتاب المقدس عن المسيح، فإنه في أوقات ينسب إليه فقط ما يتعلّق بطبيعته الإنسانية. وفي أوقات أخرى، يتحدّث بشكل فريد عن طبيعته الإلهية. والطبيعتان موجودتان في شخص المسيح. وفي بعض الأوقات تتبادلان بينهما بعض الخصائص. وهذا ما أسماه، الكتّاب القدماء "مشاركة الخصائص". يقدّم كالفن مثلًا عن مشاركة الخصائص بين طبيعتي المسيح، فيشير إلى قول الرسول بولس في أعمال الرسل: "احترزوا إذا لأنفسكم، ولجميع الرعية، التي أقامكم الروح القدس عليها، لترعوا كنيسة الله، التي اقتناها بدمه الكريم" (أعمال الرسل 20: 28). علَّق كالفن قائلًا: "إذا ما تكلّمنا بشكل حصري، فالرسول بولس يعرف تمامًا، أنّ الذي اقتنى الكنيسة بدمه الكريم هو يسوع المسيح. إلَّا أنه في سرّ هذا الاتّحاد، يمكن أن يقال بشكل له معنى هام، أنّ الله هو الذي اقتنى الكنيسة بدمه الكريم". كان كالفن مولعًا بالإشارة إلى آيات كهذه وشبيهها، لأنه اعتقد أنها تعطي الشرف لسرّ يسوع المسيح، الشخص الفريد الذي لا يتكرّر، الذي وحده يمكنه أن يتوسّط بين إله قدوس، وشعب خاطئ. لم يحصر كالفن وساطة المسيح فقط في عمل الصليب، لكنه أصرّ أنّ الابن الأزلي كان يتوسّط لأجلنا قبل بدء العالم.

سمات الكنيسة الأربع في قانون الإيمان النيقاوي

فسّر المصلحون الإنجيليون سمات الكنيسة الأربع التي يذكرها قانون الإيمان النيقاوي "ونعتقد بكنيسة: واحدة، جامعة (كاثوليكية)، مقدّسة، رسولية". وقد اختلفت تفاسيرهم عن التفاسير التقليدية التي كانت سائدة في كنيسة القرون الوسطى.

كنيسة واحدة

فسّر المصلحون الإنجيليون سمة الوحدة في الكنيسة، على أنها تشير إلى وحدة الإيمان في شخص يسوع المسيح رأس الكنيسة الوحيد. آمنوا أنّ كلّ يؤمن بالمسيح إيمانًا حقيقيًّا، فإنه يشترك في هذه الوحدة. نظر كالفن إلى وحدة الكنيسة، كعنصر حيوي في الكنيسة الحقيقية. قال: "ليس هناك سوى جسد واحد للمسيح، هو جسد الكنيسة. لذا، كلّ من يؤمن بالمسيح إيمانًا حقيقيًّا ويختبر خلاصه وغفران خطاياه، ينضمّ إلى جسد الكنيسة الواحد، ويصبح عضوًا في كنيسة المسيح غير المنظورة".

اعتبر كالفن أنّ وحدة الكنيسة لا تكون في مكان ما (كأن تكون في روما أو في غيرها من الأمكنة)، ولا تستند على أسس قانونية، بل هي قناعة لاهوتية، لكن تكون وحدة الكنيسة عندما يعيش أعضاؤها في انسجام ووئام بعضهم مع بعض. في نسخته اللاتينية الأولى لكتابه "أسس الإيمان المسيحي"، دافع كالفن عن وحدة الكنيسة، قائلًا: "نحن نؤمن أنّ الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرسولية، تتشكّل من كل أعضاء جسد المسيح المختارين، إن كانوا ملائكة أم بشرًا، أحياء أم أموات. نحن نؤمن، أنّ هناك كنيسة واحدة، شركة واحدة، شعب واحد لله، حيث المسيح يسوع ربنا وسيدنا هو رأسها. نحن نؤمن، أنه به وبصلاح الله، اختيروا قبل تأسيس العالم، كيما يتوحّد الجميع في ملكوته".

استخدم كالفن، للكنيسة لقب "الأم" التي توحّد أولادها المؤمنين والمؤمنات بالمسيح. أعلن قائلًا: "الكنيسة هي أمّنا جميعًا. وقد أغدق الله عليها كنوز نعمته السماوية... نتعلّم من لقب الأمّ للكنيسة كم هو من الضروري لنا أن نعرفها. ليس هناك سبيل آخر للوصول إلى حياة الإيمان، إن لم تحبل فينا الكنيسة وتلدنا وتغذينا من صدرها وتحفظنا تحت رعايتها، إلى أن ننتقل من هذه الحياة الجسدية الفانية ونصبح مثل الملائكة". مع إيمانه بوحدة الكنيسة، إلاّ أنّ كالفن رفض تحمّل الأخطاء التي تجري في الكنيسة، تحت غطاء الوحدة الظاهرة. ذكر في إحدى عظاته، قائلًا: "نحن لم نخلق لأنفسنا، لكننا خلقنا بعضنا من أجل بعض. إلاّ أنّ هذا لا يعني أن نتحمّل الأخطاء تحت شعار الوحدة الظاهرة".

اعتقد كالفن، أنّ وحدة الكنيسة، هي وحدة في الحقيقة. اشترك كالفن في مؤتمرات مسكونية للعمل من أجل إعادة الوحدة في الكنيسة، لكنه لم يساوم أبدًا على الحقيقة، لأنه اعتقد أن الوحدة هي وحدة في الحقيقة. لم ير كالفن في حركة الإصلاح الإنجيلي تقسيم للكنيسة، لكنّه نظر إليها على أنها إعادة تأسيس للكنيسة الحقيقية. في كتابه "سيرة جون كالفن"، يذكر الكاتب بروس غوردن، أنّ كالفن "فهم نفسه على أنه يمتدّ خارج جدران كنيسة جنيف. فهو رجل الكنيسة. واهتمامه بوحدة الكنيسة، كان شغفًا عميقًا لديه".

كنيسة مقدّسة

إنّ سمة "القداسة"، هي السمة الأقل إشكالية في تفسير المصلحين لسمات الكنيسة الأربع. كان هناك نوع من الإجماع حول معنى هذه السمة. آمن المصلحون أنّ القداسة تنحدر من الله القدوس، الذي ينقل البعض من قداسته إلى حياة الناس الذين يؤمنون به ويحبّونه ويخدمونه. لهذا، فالقداسة هي نتيجة تقديس الله لنا. آمن كالفن، أنّ الكنيسة مقدّسة رغم الضعفات والسقطات التي تعاني منها. اعتقد أنّ قداسة الكنيسة هي عملية تدريجية. فالكنيسة تتقدّم يوميًّا في طريقها نحو القداسة التي رسمها الله لها. انتقد كالفن بشدّة، قناعات بعض راديكاليي الإصلاح الأنابيتست، التي تمثّلت بثقتهم الزائدة أنّ الكنيسة التي ينتمون إليها هي كنيسة مثالية، في أسلوب حياتها وأخلاقها. قال: "لا توجد كنيسة كهذه على الأرض. لقد أعطى يسوع المسيح نفسه للكنيسة، كيما يقدّسها ويطهّرها. والرب يقوم يوميًّا بتقديسها وبمسح البقع السوداء والتجعدات عن وجهها". ذكر الكاتب بروس غوردن، في كتابه، "سيرة جون كالفن"، "إنّ قوة كالفن، وزملائه القسوس، تكمن في قدرتهم على خلق رؤية لجماعة تقيّة".

كنيسة كاثوليكية

قال كالفن: "الكنيسة كاثوليكية، ليست لأنها رومانية، لكن لأنها جامعة". فالكنيسة، تجمع مختاري الله المتّحدين معًا في المسيح، والمشتركين معًا في الجسد الواحد الذي رأسه المسيح". آمن كالفن، أنّ مختاري الله، هم ليسوا فقط أولئك الذين آمنوا بالمسيح وقبلوا خلاصه بعد مجيئه إلى الأرض، بل أنّ الكنيسة، أيضًا تضمّ وتجمع وتشمل، الآباء والأنبياء الذين وجدوا قبل مجيء المسيح إلى الأرض، معتبرًا إيّاهم جزءًا لا يتجزّأ من الكنيسة الجامعة.

كنيسة رسولية

تعرّف الكنيسة الكاثوليكية، سمة "رسولية"، لتعني بها أنّ الكنيسة نقلت وتنقل تعاليم المسيح والرسل، والنعمة الإلهية، وكل الإيمان المقدّس، من جيل الرسل: أولًا، من خلال الرسول بطرس الذي أعطي مكانة مميزة بين الرسل ودورًا قياديًّا رائدًا في الكنيسة، فكان البابا الأول. ثم رسم الرسول بطرس الأسقف الذي خلفه بابا، وهكذا دواليك، استمرت السلسلة من خلال الرسامة الأسقفية إلى زمن اليوم، في خطّ تاريخي متسلّسل ومتتابع لم ينقطع عبر الزمن. تعتبر الكنيسة الكاثوليكية، أنّ هذا التسلّسل التاريخي هو ضروري، وهو الوسيلة التي عيّنها الله، حتى يستطيع الأساقفة ممارسة خدمتهم وإرساليتهم الرسولية بشكل قانوني شرعي، في رسامة الأساقفة والكهنة الآخرين، لاستمرار خدمة الكنيسة في العالم. وبناءً على هذا المفهوم الذي يركّز

على عدم الانقطاع التاريخي، تعتبر الكنيسة الكاثوليكية، أن الكنائس التي لا تنحدر من تسلّسل تاريخي، ليست كنائس بالمعنى الكامل للكلمة.

إلاّ أنّ المصلحين الإنجيليين: من مارتن لوثر وجون كالفن وغيرهما، رفضوا هذا التشديد على الجانب التاريخي التسلسلي في مفهوم رسولية الكنيسة، مؤكّدين أنّ "الرسولية"، لا تشير إلى التسلسل والتتابع في التاريخ، وإنما التتابع في إيمان الرسل، وشهادة الرسل وعقيدة الرسل، والإخلاص والوفاء لتعليم رسل الكنيسة الأوائل، بغض النظر إن كان هناك انقطاع تاريخي أم لا. اعتبر اللاهوتيون الإنجيليون أنّ هذا التفسير، إنما هو امتداد لعقيدتين من عقائد الإصلاح الإنجيلي، هما: "الكتاب المقدس وحده، والإيمان وحده".

لم يجد المصلحون في الكتاب المقدس ما يثبت تفسير الكنيسة الكاثوليكية لمعنى سمة الرسولية، معتقدين أنّ الرسل لم يعلّموا تعليمًا كهذا. قال كالفن: "نحن لا ننكر بأنه كان هناك تسلسل وتتابع رسولي لم ينقطع في الكنيسة من بداية الإنجيل حتى يومنا هذا، لكن لا نوافق بأنّ هذا التسلسل، كان مرتبطًا بمظاهر خارجية. وبأنه كان وسيكون على يد الأساقفة". وأضاف قائلًا: "كيف يؤكّدون أنّ هذا الرابط والتسلّسل التاريخي هو ضروري لمفهوم الكنيسة الرسولية؟ ليس هناك أي وعد مشابه لذلك في الكتاب المقدس. إذا ما أرادت الكنيسة أن تؤكّد على التتابع الرسولي، ليفتّشوا عنه في حياة أولئك الذين أودعوا عقيدة وتعاليم الرسل بإخلاص للذين خلفوهم. فنقاء العقيدة هو نفس الكنيسة".

وقال كالفن أيضًا: "عندما تهمل قيادة الكنيسة، تعليم المسيح والرسل، فإنّ الله يمنح سمة الرسولية للذين يطيعون تعليم المسيح والرسل، وينقلونه بإخلاص للأجيال اللاحقة، ويخضعون لإرادة الله". رأى كالفن، أنّ الأسقفية مركز خدمة لإفادة الآخرين، وليست مركز سلطة أو شرف لخدمة أنفسهم. قال كالفن: "إنّ مضمون رسولية الكنيسة، ليس الأشخاص الذين يشغلون مركز القيادة في الكنيسة، بل مفهوم لاهوتي يتعلّق بعقيدة الرسل. إنّ رسولية الكنيسة، ليست مسألة تقليد وتسلّسل تاريخي، وإنما مفهوم حفظ الله لكنيسته من خلال منح سلطته، لأولاده الذين يخلصون لتعاليم الرسل وينقلون تعاليمهم إلى الأجيال اللاحقة. فالتتابع الرسولي هو الاستمرار في إعلان رسالة الرسل. الاستمرار في نفس الاختبار الروحي للرسل. إنه الشركة في عطية الروح القدس الواحد مع الرسل. إنه الاستمرار في الولاء للرب الواحد مع الرسل. وبكلمة أخرى، التتابع الرسولي هو الحاجة إلى أن يعيش الرسل معنا كل يوم من خلال تعاليمهم".